

تصدرها رئاسة أركان الجيش

مديرية التدريب العسكري

العدد ٢ نيسان ١٩٦٤ م – ذوالحجة ١٣٨٣ هـ السنة ٤١

قادة الفتح الاسلامى



القائد الذى جرأ العرب على مهاجمة الامبراطورية الفارسية ومهد لفتح العراق

بقلم اللواء الركن

محمود شيت خطاب

عضو المجمع العلمي

> «هذا رجل غير خامل الذكر ، ولا مجهول النسب ، ولا ذليل العماد .. هذا المثنى بن حارثة الشيبانى » .
>
> (قيس بن عاصم المنقرى)

المثنى بن حارثة الشيبانى

القائد الذى جرأ العرب على مهاجمة الامبراطورية الفارسية ومهد لفتح العراق

بقلم اللواء الركن
محمود شيت خطاب
عضو المجمع العلمي

«هذا رجل غير خامل الذكر ، ولا مجهول النسب ، ولا ذليل العماد .. هذا المثنى بن حارثة الشيبانى» .
(قيس بن عاصم المنقرى)

بنو شيبان

كان بنو شيبان من هامات ربيعة[١] في الجاهلية وهم أبطال معركة (ذى قار)[٢] ، وقد أمتد بهم المجد في الاسلام . فكان منهم بيوتات سجل لها التاريخ صفحات خالدة .

وتكرر أمثال يوم (ذى قار) بعد الاسلام بين الفرس وبنى شيبان خاصة وبين الفرس وقبائل بنى بكر عامة ؛ فكان بنو شيبان طلائع الفتح الاسلامى فى العراق ، وكان المثنى بن حارثة الشيبانى الذى كان من أشراف شيبان أول قائد عربى تجرأ على مهاجمة الامبراطورية الفارسية في عقر دارها .

---

(١) بنو شيبان من بكر بن وائل ، وهؤلاء من ربيعة ، والمثنى من شيبان بن ثعلبة . انظر العقد الفريد (٢/٢٣٠) .

(٢) ذو قار : ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة بينها وبين واسط ، وفى معركة ذى قار انتصف العرب من العجم لاول مرة فى التاريخ . راجع التفاصيل فى معجم البلدان (٨/٨) وانظر الاغانى (٢٠/٣١٨-٣٣٦) عن معركة ذى قار . وكذلك انظر العقد الفريد (٣/٣٧٤-٣٧٩) عن معركة (ذى قار) أيضا .

الصحـــابى

وفد المثنى بن حارثة بن سلمة بن ضمضم بن سعد بن مرّة بن ذهل بن شيبان على النبى صلى الله عليه وسلم سنة تسع مع وفد قومه[1] ، فأسلم . وهناك رواية توهم قدم اسلامه ، وهى قدوم النبى صلى الله عليه وسلم على جماعة من بنى شيبان حين كان يعرض نفسه على القبائل العربية قبل الهجرة الى المدينة المنورة ، فتلا الرسول صلى الله عليه وسلم عليهم : « قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم .. » الآية .. ثم تلا عليهم : « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى » الآية ، فقال المثنى : « قد سمعت مقالتك وأستحسنت قولك وأعجبنى ماتكلمت به ، ولكن علينا عهد من كسرى : لانحدث حدثا ولانؤوى محدثا ؛ ولعل هذا الامر الذى تدعونا اليه مما يكرهه الملوك ، فاذا أردت أن ننصرك ونمنعك مما يلى بلاد العرب ، فعلنا ! » . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ما أسأتم اذ أفصحتم بالصدق ! انه لا يقوم بدين الله الا من حاطه بجميع جوانبه ثم نهض النبى صلى الله عليه وسلم[2]؛ وهذا لايدل على اسلام المثنى منذ ذلك الوقت ، كما توهم بعض من ترجم له[3] ؛ اذ لو كان قديم الاسلام لكان له ذكر في غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم نظراً لشجاعته الفائقة وقابليته النادرة فى قيادة الرجال .

لقـد نال المثنى شـرف الصحبة ، ولكنه لم ينل شـرف الجهـاد تحت لواء الرسول القائد .

---

(١) أسد الغابة (٤/٢٩٩) والاصابة ٦/٤١) والاستيعاب (٤/١٤٥٦) . وقيل سنة عشر ، وانظر جمهرة انساب العرب (٣٠٥) حول نسبه .

(٢) أسد الغابة (٤/٤٠٩) .

(٣) الاصابة (٦/٤٢) .

جهــــاده

١ ـ فى حروب الردة :

عندما ارتدت أكثر القبائل العربية ـ ومنهم ربيعة ـ التى كانت في منطقة (البحرين)[١] ، ثبت المثنى على الاسلام مع من ثبت من قومه ؛ فكتب العلاء ابن الحضرمى الى من أقام على اسلامه من بكر بن وائل ـ ومنهم المثنى[٢] ، أن يعينوه على مكافحة المرتدين حتى يعودوا الى الاسلام ؛ فكان المثنى على رأس الذين أعانوا العلاء بن الحضرمي فى مهمته الشاقة ، اذ ضيق الخناق على المرتدين وأخذ الطريق عليهم ؛ ولم يكتف بذلك ، بل تابع السير شمالا على شاطىء الخليج العربى ليقاوم دسائس الفرس الذين شجعوا المسلمين فى منطقة الخليج العربى على الردة ويقضى على انصارهم من القبائل ومن الابناء[٣] .

٢ ـ فى الفتح :

(أ) التعرض التمهيدى :

تقدم المثنى بقواته شمالا من منطقة البحرين ، فقضى على الفرس وعمالهم ممن عاونوا المرتدين فى البحرين ، حتى وضـــــع يده على (القطيف)[٤]

---

(١) البحرين : اسم جامع لبلاد على ساحل الخليج العربى بين البصرة شمالا وعمان جنوبا . راجع التفاصيل فى معجم البلدان (٧٢/٢) وآثار العباد للقزوينى ص (٧٧) .

(٢) الطبرى (٥٢٦/٢) .

(٣) الابناء : قوم من العجم سكنوا البلاد العربية واختلطوا بالعرب بالمصاهرة فتعلموا لغتهم . قال السمعانى : كل من ولد باليمن من ابناء الفرس وليس من العرب .

(٤) القطيف : مدينة فى البحرين وهى قصبتها وأعظم مدنها . راجع التفاصيل فى معجم البلدان (١٣١/٧) .

و (هجر)[1] وحتى بلغ فى تقدمه مصب دجلة والفرات فى الخليج العربى .

وتساءل الناس عن هـــذا القائد الذى يسير من نصر الى نصر ، وتساءل الصديق أبو بكر عنه قائلا : « من هذا الذى تأتينا وقائعه قبل معرفة نسبه ؟ » [2] فأجابه قيس بن عاصم المنقرى[3] : « هذا رجل غير خامل الذكر ، ولا مجهول النسب ، ولا ذليل العماد ، هذا المثنى بن حارثة الشيبانى [4] » .

وحضر المثنى بنفسه الى المدينة ليتصل اتصالا شخصيا بأبى بكر الصديق وليسأله ان يؤمره على رجاله ليهاجم بهم الفرس فى العراق ، قائلا : « ياخليفة رســـول الله استعملنى على قومى ، فان فيهم اسلاما ، أقاتل بهم أهل فارس ، وأكفيك أهل ناحيتى من العدو »[5] فكتب له أبو بكر الصديق بذلك عهدا [6]، فهو الذى أطمع أبا بكر والمسلمين فى الفرس وهوّن أمر الفرس عندهم[7] .

واستمر المثنى على مهاجمة أهل السواد ، ثم بعث أخاه مسعودا الى أبى بكر يسأله المدد ، فأمده بخالد بن الوليد المخزومى ، على ان يتولى خالد القيادة العليا فى العراق وان يكون المثنى بامرته،فسار خالد من (اليمامة) الى العراق على

---

(١) هجر : مدينة فى البحـــرين ، وقيل : ناحية البحرين كلها هجر ، راجع التفاصيل فى معجم البلدان (٨/٤٤٥) .

(٢) الاصابة (٦/٤١) .

(٣) قيس بن عاصم المنقرى : قدم في وفد تميم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة تسع للهجرة ، فلما رآه النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « هذا سيد أهل الوبر » وكان عاقلا حليما مشهورا بالحلم . قيل للاحنف بن قيس : ممن تعلمت الحلـم ؟ قال : « من قيس بن عاصـم ! » راجـع التفاصيل في الاستيعاب (٣/١٢٩٥) وأسد الغابة (٤/٢١٩) والاصابة (٥/٢٥٨) .

(٤) أسد الغابة (٤/٢٩٩) والبلاذرى (ص ٢٤٢) .

(٥) الاصابة (٦/٤١) وأسد الغابة (٤/٢٩٩) .

(٦) البلاذرى (ص ٢٤٢) .

(٧) أسد الغابة (٤/٢٩٩) .

رأس عشرة آلاف[1] من الجند ، وفي رواية انه سـار من المدينة الى العراق[2] فلما وصل العراق كتب الى المثنى ليأتيه ، وبعث اليه بكتاب أبى بكر الذى يأمره فيه بالسمع والطاعة لخالد ، (فانقض اليه جواداً حتى لحق به)[3]،وهكذا تسارع الرجولة الى الطاعة .

(ب) مع خالد :

قاتل المثنى تحت لواء خالد بن الوليد فى كل معاركه التى خاضها فى العراق تارة تحت قيادة خالد المباشرة ، وتارة قائداً مستقلا ، وكان خالد يقدر المثنى غاية التقدير ويعتمد عليه كل الاعتماد .

بعد معركة (الحفير)[4] التى انتصر فيها المسلمون على الفرس ، أمر خالد المثنى أن يطارد المنهزمين من الفرس،فطاردهم المثنى مطاردة حاسمة كأنما يريد ألا يتركهم قبل أن يبلغ المدائن[5] ، ولكنه توقف عن المطاردة عندما جاءته الأنباء بأن جيشاً عظيماً للفرس يعسكر فى (المذار)[6] ، فأيقن المثنىان انفراد قواته بلقاء هذا الجيش الضخم قد يجر عليه الهزيمة ، لذلك اختار مكاناً مناسباً بالقرب من (المذار) وعسكر فيه .

وتحشد المسلمون بقيادة خالد فى (المذار) ، وبدأ القتال بين الطرفين فأنهزم الفرس بسفنهم ، وحال الماء بين المسلمين ومطاردة الفرس[7] .

وبقى خالد يستعين بالمثنى اذا حضر ويستخلفه اذا غاب ، حتى فتح الله على المسلمين الحيرة ، والانبار ، فأرسله خالد لمهاجمة (سوق بغداد) فأغار عليه وهزم

---

(١) الطبرى (٢/٥٥٤) .
(٢) البلاذرى (ص/٢٤٢) .
(٣) الطبرى (٢/٥٥٢) .
(٤) الحفير : موضع قريب من الخليج العربى على حدود الصحراء قريب من ثغر كاظمة . راجع معجم البلدان (٣/٣٠٣) وكاظمة : موضـع على البحر فى طريق البحرين من البصرة بينها وبين البصرة مرحلتان . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٧/٢٠٨) .
(٥) ابن الاثير (٢/١٤٨) .
(٦) المذار : كان المذار بين المواقع الذى انشئت فيه بعد ذلك واسط والموضع الذى أنشئت فيه بعد البصرة . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٧/٤٣٣).
(٧) ابن الاثير (٢/١٤٨) .

المدافعين عنه[1] • ولما ورد أمر أبي بكر الى خالد بالحركة الى أرض الشام لمقاتلة الروم ، وأن يأخذ نصف الناس ويستخلف المثنى على العراق في نصف الناس ، أحضر خالد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كانوا معه واستأثر بهم لنفسه تاركا للمثنى مثل عددهم ممن لم يكن له مع الرسول صلى الله عليه وسلم صحبة ، واستأثر لنفسه أيضاً بمن كان قدم على النبى صلى الله عليه وسلم وافداً تاركاً للمثنى مثل عددهم من أهل القناعة ، ثم قسّم سائر الجند قسمين ؛ فلما رأى المثنى صنع خالد غضب وقال : « والله لا أقيم الا على انفاذ أمر أبى بكر ! وبالله ما أرجو النصر الا بأصحاب النبى صلى الله عليه وسلم » فلما رأى خالد ذلك ، أرضاه[2] •

ودع المثنى خالداً حين سفره من العراق الى الشام حتى تخوم البادية ، ولما آن لهما أن يفترقا ، قال خالد للمثنى : « ارجع رحمك الله الى سلطانك غير مقصر ولا وان »[3] •

(ج) القائد العام :

كان الموقف العسكرى فى العراق عند مغادرة خالد له دقيقاً للغاية ، فقد كانت قوات المثنى قليلة بالنسبة لقوات الفرس ، وكانت خطوط مواصلاته بعيدة بالنسبة لخطوط مواصلات الفرس ؛ أما المشاكل الداخلية في بلاد الفرس فقد أصبحت أقل من السابق بعد اتفاق الفرس على رفع (شهر براز ابن أردشير)[4] الى العرش ، فلما أطمأن الامر له ، كان اجلاء المسلمين عن العراق أول ما استقر عليه عزمه !! •

ولعل شعور خالد بن الوليد بدقة الموقف في العراق هو الذى دفعه الى ترحيل النساء والصبيان والضعفاء من الرجال الى المدينة قبل سفره الى الشام[5] •

---

(١) البلاذرى (ص ٢٤٧) والطبرى (٢/٥٨٤) •
(٢) ابن الاثير (٢/١٥٦) والطبرى (٢/٦٠٥) واليعقوبى (٢/١١٢) •
(٣) البلاذرى (ص ٢٥٠) •
(٤) الطبرى (٢/٦٠٥) وابن الاثير (٢/١٥٩) •
(٥) الطبرى (٢/٦٠٨) •

وبلغ المثنى أنباء تحشد القوات الفارسية لمهاجمة قواته ، فسار حتى بلغ أطلال (بابل)[١] ، وأنتظر هناك عشرة آلاف مقاتل فارسي يقودهم (هرمز جازويه) ؛ وانه في انتظاره لقاء العدو ، اذ وصلته رسالة كسرى يقول فيها : « اني قد بعثت اليكم جنداً من وحش أهل فارس ، وانما هم رعاة الدجاج والخنازير ولست أقاتلك الا بهم » ، فكتب اليه المثنى : « انما أنت أحد رجلين : أما باغ ، فذلك شر لك وخير لنا ؛ واما كاذب ، فأعظم الكذابين عقوبة وفضيحة عند الله وعند الناس الملوك . وأما الذي يدلنا عليه الرأى ، فانكم انما اضطررتم اليهم ، فالحمد لله الذى رد كيدكم الى رعاة الدجاج والخنازير[٢] » .

والتقى الجيشان على أطلال مرتفعات (بابل) وكان يتقدم جيش (هرمز) فيل يفرق بين الصفوف والكراديس ويوقع الرعب فيهم ، فأيقن المثنى ان انتصاره رهن بالقضاء على هذا الفيل ، فخرج على رأس جماعة من رجاله ، وهاجموا الفيل وأصابوا منه مقتلا ! فانهزم الفرس بعد قتال شديد ، فطاردهم المثنى الى أبواب المدائن[٣] .

ونزلت انباء الهزيمة بكسرى نزول الصاعقة ، فحم ، فمات ! وبعد موته عاد الاضطراب الى بلاط فارس ، فأراد المثنى انتهاز هذه الفرصة السانحة ، فكتب الى أبي بكر يخبره بانتصاره ، ويستأذنه في الاستعانة بمن ظهرت توبتهم من أهل الردة ...[٤] .

وانتظر ورود النجدات اليه لاكمال فتح العراق ، وما كان أبو بكر ليمده وجيوش المسلمين كلها فى الشام ؛ لذلك غادر المثنى العراق الى المدينة ليخبر أبا بكر خبر المسلمين والفرس ، وليستأذنه فى الاستعانة بمن ظهرت توبته وندمه من أهل الردة ؛ فوجد أبا بكر مريضا على فراش الموت ، ومع ذلك استقبله

(١) بابل : مدينة أثرية شمال مدينة الحلة وقريبة منها ، وكان يطلق اسم بابل على ناحية بين الحلة والكوفة . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٢/١٨) وآثار العباد (٣٠٤) .

(٢) الطبرى (٢/٦٠٦) وابن الاثير (٢/١٦٠) .

(٣) ابن الاثير (٢/١٦٠) والطبرى (٢/٦٠٦) .

(٤) الطبرى (٢/٦٠٥) .

الخليفة وسمع اليه واقتنع برأيه ، وقال : « علىّ بعمر » وكان قد استخلفه . فلما جاء ، قال له : « أسمع يا عمر ما أقول لك ثم أعمل به . انى لارجو أن أموت من يومى هذا ، فان أنا مت فلا تمسين حتى تندب الناس مع المثنى ، ولا يشغلنكم مصيبة – وان عظمت – عن أمر دينكم ووصية ربكم ! وقد رأيتنى متوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما صنعت ، ولم يصب الخلق بمثله . وبالله لو انى عن أمر الله وأمر رسوله ... لخذلنا ، ولعاقبنا ، فاضطرمت المدينة نارا ، وان فتح الله على أمراء أهل الشام ، فاردد أصحاب البلد الى العراق ، فانهم أهله وولاة أمره وحده ، وهم أهل الضراوة والجرأة عليهم»[1]. ووعد عمر أن ينفذ ذلك حرفيا .

د – مع أبى عبيد الثقفى :

لما أصبح عمر من الليلة التى مات فيها أبو بكر ، كان أول ماعمله أن استنفر الناس للانضواء تحت لواء المثنى ، ولما بايعه الناس وبايعهم ، استنفرهم ثلاثة أيام متتالية دون مجيب ، ذلك لأن جبهة القتال الفارسية ، كانت من أكره الجبهات اليهم وأثقلها عليهم ، لشدة سلطان الفرس وعزهم وشوكتهم وقهرهم الأمم[2] فلما كان اليوم الرابع ، عاد فندب الناس الى العراق ، فكان أول منتدب أبو عبيد بن مسعود الثقفى ، فولاه عمر منصب القيادة العامة فى العراق[3].

وتكلم المثنى يشجع الناس ويهون عليهم أمر الفرس ، فقال : « يا أيها الناس! لايعظمن عليكم هذا الوجه ، فانا قد تبحبحنا[4] ريف فارس وغلبناهم على خير شقى السواد وشاطرناهم ونلنا منهم واجترا من قبلنا عليهم ، ولها ان شاء الله مابعدها»[5] ! فتوالى المتطوعون حتى بلغوا ألف رجل من أهل المدينة[6] فقط .

---

(١) الطبرى (٢/٦٠٧) وابن الاثير (٢/١٦٠) .
(٢) الطبرى (٢/٦٣١) وتاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزى ص (٦٧) .
(٣) البلاذرى (ص/٢٥١) وابن الاثير (٢/١٦٦) والاصابة (٤/٢٩٩) واليعقوبى (٣/١٢٠) .
(٤) تبحبح المكان : أى توسطه .
(٥) الطبرى (٢/٦٣١) وابن الاثير (٢/١٦٦) .
(٦) البلاذرى (ص/٢٥١) .

وأمر عمر المثنى ان يعود سريعا الى العراق وينتظر هناك الى ان يقدم عليه رجاله ، وأمره باستنفار من حسن اسلامه من أهل الردة[١] ، فسار المثنى حتى قدم (الحيرة) ؛ ووصل أبو عبيد الثقفى بعده بشهر ؛ فلما وصلها المثنى علم ان الفرس شغلوا عن المسلمين اثناء غيبته باختلافهم على العرش مما أدى الى نشـــوب معارك داخلية بين الطامعين بالعرش حتى استقر الملك بيد (بوران) يعاونها وزيرها المحنك (رستم) الذى عرف بجرأته وطموحه ، فعمل هذا على اثارة الرأى العام ضد المسلمين ، وأرسل جندا لمصادمة المثنى ، وأرسل دعاته لاثارة أهل السواد ، فثار أهل السواد من أعلاه الى أسفله بالمسلمين ، لذلك قرر المثنى ان ينسحب بجيشه من الحيرة حتى لايؤتى من خلفه ! فانسحب منها ونزل (خفان)[٢]، وأقام فيها حتى قدم عليه أبو عبيد[٣].

لبث أبو عبيد فى (خفان) أياما يستريح هو واصحابه ، فلما علم ان الفرس نزلوا (النمارق)[٤]، سار اليه بقوات المسلمين ، وجعل المثنى على الخيل ، فاقتتل الطرفان هناك قتالا شديدا ، انهزم الفرس على أثره أمام المسلمين ووقع قائدهم (جابان) أسيرا[٥] .

والتقى المسلمون بالفرس فى معـركة (السقاطية)[٦]، فانتصر المسلمون بعد قتال شديد أيضا فأقام أبو عبيد بناحية (كسكر)[٧]، وسرح المثنى وغيره من القادة يغيرون على تلك النواحي ويخضعونها للمسلمين[٨] .

---

(١) ابن الاثير (٢/١٦٦) .
(٢) خفان : موضعقرب الكوفة . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣/٤٥١) .
(٣) ابن الاثير (٢/١٦٧) .
(٤) النمارق : موضع قرب الكوفة . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٨/٣١٦).
(٥) الطبرى (٢/٦٣٤) .
(٦) السقاطية . ناحية قريبة من الموضع الذى انشئت فيه بعد مدينة واسط . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٥/٩١) .
(٧) كسكر : منطقة غنية بمنتوجاتها الزراعية والحيوانية ، قصبتهـا مدينـة واسط . راجع التفاصيل فى معجم البلدان (٧/٢٥١) .
(٨) الطبرى (٢/٦٣٧) وابـن الاثير (٢/١٦٧) .

والتقى الطرفان في معركة (الجالينوس) ، فانهزم الفرس أيضا[١] فارتحل أبو عبيد وقدم المثنى حتى قدم الحيرة[٢] واستقر بهـا •

ولكن الفرس حشدوا جيشاً عظيماً بقيادة (بهمن جاذويه) ، فعبر اليه أبو عبيد بجيشه ، وقبل نشوب القتال بين الطرفين عين أبو عبيد الأمراء الذين يتولون قيادة المســلمين من بعده اذا استشهد ، وكان من بين الذين عينهم المثنى ، فلما استشهد أبو عبيد واستشهد الذين تعاقبوا على اللواء حسب وصيته من بعده ، تولى المثنى ، وكانت معنويات الناس حينذاك قــد انهارت ، فارتد كثير منهم الى (الجسر) يريدون النجاة بأنفسهم •

لم يكن المثنى يطمع حينذاك بأكثر من حماية انسحاب المسلمين حتى يقلل من خسائرهم ، وبينما كان يفكر في خطة حكيمة لسحب المسلمين بأقل ما يمكن من خسائر ، اذ أقدم عبدالله بن مرثد الثقفي على قطع الجسر هاتفاً بأعلى صوته : «أيها الناس ! موتوا على مامات عليه أمراؤكم ، أو نظفر!••» فضاعف هذا العمل الارتجالي مشاكل قيادة المثنى في هذا الموقف العصيب !•

وخشي المثنى أن تعمّ الفوضى ويتفاقم الخطر ، فوقف واللواء بيده ينادي :

« يا أيها الناس! أنا دونكم، فأعبروا على هينتكم[٣] ولا تدهشوا فأنا لن نزايل حتى نراكم من ذلك الجانب ، ولا تغرقوا أنفسكم[٤] ، فعبر الناس والمثنى يقاتل دونهم ويحول هو ورجاله بين الفرس وبينهم ، فأصابت المثنى وهو في موقفه ذاك ضربة رمح جرحته وأثبتت فيه حلقا من درعه •

وبعد عبور المسلمين ، عبر المثنى آخر من عبر ، وبذلك استطاع المثنى أن يخلّص من الغرق والقتل من بقي من جند المسلمين ، اذ عبروا الى الجانب الآخر والمثنى صامد دونهم لا يزعزعه شيء ، حتى الجرح البليغ الذي أصابه !!

وانسحب المثنى بقواته الى الحيرة ، ثم الى (أليّس)[٥] جنوباً ، ليفلت من مطاردة الفرس •

---

(١) الطبري (٦٣٨/٢) وابـن الاثير (١٦٨/٢) •
(٢) الطبري (٦٣٩/٢) •
(٣) على هينتكم : متمهلون •
(٤) الطبري (٦٤٢/٢) •
(٥) اليس : قرية من قرى الانبار • راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣٢٨/١)•

هـ ـ القائد العام ثانية :

ارفضّ عن المثنى أهل المدينة حتى لحقوا بالمدينة ، وتركها بعضهم ونزلوا البوادى ، وبقى المثنى فى قلة[1] ، فأرسل يطلب المدد من عمر ، وبعث الى من يليه من القبائل العربية ، فتوافوا اليه فى جمع عظيم[2] ...

وتتابعت على المثنى الامدادات من المدينة ، فحشد المثنى جيش المسلمين في (البويب)[3] ، وفيها التقى المسلمون بجيش الفرس بقيادة (مهران) .

وبعث (مهران) الى المثنى يقول : «اما أن تعبروا الينا ، واما أن نعبر اليكم» ، فقال المثنى : « اعبروا أنتم ، » فعبر (مهران) بجيشه[4] .

وعبأ المثنى أصحابه ، وكان الوقت رمضان ، فأمرهم بالافطار ليقووا على عدوهم ، فأفطروا[5] ، وخرج على فرســــه (الشموس) ؛ وكان لا يركبه الا للقتال ، وطاف راكباً بين الصفوف : يحضهم ويحرضهم ويهزهــم بأحسن ما فيهم ؛ فكان يقف عليهم راية راية ؛ ويقول : « انى لارجو ألا تؤتى العرب من قبلكم . والله ما يسرنى اليوم شىء لنفسى الا وهو يسرنى لعامتكم »[6] .

وقال المثنى : « انى مكبّر ثلاثاً فتهيأوا ، ثم احملوا مع الرابعة » ؛ ولكنه ما كاد يكبّر التكبيرة الاولى حتى أعجل الفرس المسلمين وعاجلوهم وشدوا عليهم؛ فاختلت بعض صفوف المسلمين من بنى (عجل) ، فأرسل المثنى من يقول لهم : ان الامير يقرأ عليكم السلام ؛ ويقول لكم : لاتفضحوا المسلمين اليوم ! » ؛ فاعتدل بنو (عجل) وهاجموا مع المسلمين القوات الفارسية ، واشتبك الطرفان في قتال مرير دام سجالا بضع ساعات ؛ ففكر المثنى بأن يحمل بنفسه على قائد الفرس فيزيله عن مكانه أو يقتله ... فحمل على (مهران) حملة صادقة حتى دخل ميمنته . ورأى

---

(١) الطبرى (٢/٦٤٢) .

(٢) ابن الاثير (٢/١٦٩) والطبرى (٢/٦٤٥) .

(٣) البويب : نهر في منطقة الكوفة يأخذ من الفرات . راجع معجم البلدان (٢/٣١٠) .

(٤) الطبرى (٢/٦٤٥) .

(٥) ابن الاثير (٢/١٦٩) .

(٦) الطبرى (٢/٦٤٨) وابن الاثير (٢/١٧٠) .

الفرس ماحدث ، فاندفعوا لحماية قائدهم ؛ وعندما انكشف الغبار رأى المسلمون تراجع قلب الفرس ، فحملت ميمنة المسلمين وميسرتهم ، فسارع الفرس الى التراجع نحو النهر خوفاً من التطويق يريدون النجاة بأنفسهم ... !

وحرّض المثنى جنده قائلا : « عاداتكم في أمثالهم ! انصروا الله ينصركم»[١] ثم سابق المثنى الفرس المنسحبين الى الجسر ، فسبقهم اليه وقطعه ، وبذلك قطع خط رجعتهم الوحيد وكبدهم خسائر تقدر كما قيل بمائة ألف قتيل ، ولكن المثنى ترك فى ساحة المعركة أخاه مسعود بن حارثة شهيدا ، فقال المثنى : « أيها الناس ! لايرعكم مصرع أخى ، فان مصارع خياركم هكذا ... » وترك فى ساحة المعركة كثيرا من الشهداء ..

وقال المثنى بعد المعركة : « قد قاتلت العرب والعجم فى الجاهلية . والله لمائة من العجم فى الجاهلية كانوا أشد عليّ من الف من العرب ، ولمائة اليوم من العرب أشد عليّ من الف من العجم . ان الله أذهب بأسهم ووهن كيدهم ، فلا يروعنكم زهاء ترونه ولا سواد ولا قسى فج ولا نبال طوال ، فانهم اذا أعجلوا عنها أو فقدوها كالبهائم ، أينما وجهتموها اتجهت[٢] !

وذكر المثنى قطع الجسر على الفرس ، مما أدى الى افناء جيشهم من جهة وازدياد خسائر المسلمين بالارواح من جهة أخرى ، فقال منكرا صنيع نفسه معترفا بخطئه : « لقد عجزت عجزة وقى الله شرها بمسابقتى اياهم الى الجسر حتى أحرجتهم ، فانى غير عائد ، فلا تعودوا ولا تقتدوا بى أيها الناس ، فانها كانت منى زلة : لا ينبغى احراج أحد الا من لا يقوى على امتناع[٣] !! » .

وهكذا بكل بساطة يعترف القائد المنتصر بخطئه بعد انتصاره العظيم مباشرة فى أول معركة حاسمة فى العراق بين الفرس والمسلمين .

---

(١) الطبرى (٢/٦٥٠) وابن الاثير (٢/١٧٠) ، ويراجع البلاذرى (ص ٢٥٤) حول كلام المثنى عن مصرع أخيه .

(٢) الطبرى (٢/٦٥٠-٦٥١) . وفى جمهرة انساب العرب (٣٠٥) : ان المثنى قتل (مهران) قائد الفرس .

(٣) الطبرى (٢/٦٥١) .

ووقف المثنى يؤبن الشهداء ومن بينهم أخوه مسعود بن حارثة الشيبانى بعد الصلاة عليهم ، فقال : « والله انه ليهون على وجدى ان شهدوا البويب أقدموا وصبروا ولم يجزعوا ولم ينكلوا ، وان كان في الشهادة كفارة لتجوز الذنوب »[1].

وأمر المثنى رجاله بالاندفاع في مطاردة الفرس ، ففتحوا السواد كله حتى بلغوا (ساباط)[2] ، كما انطلق المثنى بدوره ، فغزا (الخنافس) و (الانبار) ، وبلغ المسلمون على محور دجلة قرية (بغداد) ومدينة (تكريت)[3] .

وأخذت فارس بعد هزيمتها ، تعد جيشا ضخما لاستعادة العراق من المسلمين ، خاصة بعد اجتماع كلمتهم على تولية كسرى (يزدجرد بن شهريار) ، فثار أهل السواد بالمسلمين ، فلم يجد المثنى بدا من الانسحاب ثانية الى تخوم شبه الجزيرة العربية ، فنزل (بذى قار) منتظرا الامدادات التى كان قد طلبها من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب[4].

٣ ـ الشـهيد :

لم يطل انتظار المثنى (بذى قار) طويلا لقدوم سعد بن أبى وقاص الزهرى القائد العام الجديد للعراق ، حتى نغر الجرح الذى كان أصابه في معركة (الجسر)،

---

(١) الطبرى (٢/٦٥١ـ٦٥٢) . وعندما صرع مسعود بن حارثة الشيبانى أخو المثنى ، تضعضع من معه ، فرأى مسعود ذلك وهو دنف فقال « يامعشر بكر بن وائل ! ارفعوا رايتكم رفعكم الله ، لايهولنكم مصرعى » الطبرى (٢/٦٥٠) وابن الاثير (٢/١٧٠) . والخنافس : أرض للعرب قرب الانبار . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/٤٦٨) .

(٢) ساباط : مدينة قريبة من المدائن . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٥/٢)، وراجع عن مطاردة المسلمين للفرس ما جاء فى الطبرى (٢/٦٥٣) .

(٣) الخنافس : أرض للعرب قرب الانبار . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣/٤٦٨) والانبار : مدينة على الفرات غربى بغداد (الفلوجة حاليا) راجع التفاصيل في معجم البلدان (١/٣٤٠) ، وكانت بغداد يومذاك قرية وتكريت مدينة . يراجع تفاصيل هذه المعارك في الطبرى (٢/٦٥٥ـ٦٥٨) وابن الاثير (٢/١٧١ـ١٧٢) والبلاذرى (ص ٢٥٥) .

(٤) ابن الاثير (٢/١٧١) والطبرى (٢/٦٥٩) .

فمات شهيدا قبل وصول سعد وجيشه الى أرض العراق[1] وذلك في سنة أربع عشرة للهجرة ، ولكنه ترك وصية عسكرية لسعد تعتبر عصارة تجاربه وخبرته في حرب الفرس ، يذكر فيها لسعد : « ألا يقاتل عدوه وعدوهم من أهل فارس اذا استجمع أمرهم وماؤهم في عقر دارهم ، وان يقاتلهم على حدود أرضهم ، على أدنى حجر من أرض العرب وأدنى مدرة[2] من أرض العجم ، فان يظهر الله المسلمين فلهم ماوراءهم ، وان كانت الاخرى رجعوا الى فئة يكونون أعلم بسبلهم وأجرأ على أرضهم ان يرد الله الكرة عليهم » فحمل هذه الوصية الى سعد المعنى بن حارثة الشيباني أخو المثنى وسلمى زوج المثنى فترحم سعد ومن معه على المثنى وجعل المعنى على عمله وأوصى بأهل بيته خيراً[3] • لقد كان سعد يتمنى أن يعاونه المثنى في مهمته الصعبة ، ولكن الاقدار حرمته من ذلك وحرمت المثنى من الاشتراك في (القادسية) وعندما حمي الوطيس واستكلب الموت على الابطال في تلك المعركة الحاسمة ، هتفت سلمى زوج المثنى - وكان سعد تزوجها بعد المثنى - حين لم تجد المثنى يسوس الاجناد ويقود الجلاد ، قائلة : « وامثناه ! ولا مثنى اليوم للخيل !!![4] » •

شعره :

هذه نماذج من أشعار المثنى التي يتغنى فيها ببعض فتوحاته ، وهي تدل على ان المثنى كرس كل شيء في حياته - حتى شعره - للجهاد ، فهو بحق فارس الشعراء وشاعر الفرسان •

---

(١) ابن الاثير (٢/١٧٣) والطبرى (٣/٧) •

(٢) مدرة : بفتحتين ، واحدة (المدر) ، والعرب تسمى القرية (مدرة) • راجع مختار الصحاح (ص ٦١٩) •

(٣) الطبرى (٣/١٠) وابن الاثير (٢/١٧٤) •

(٤) الطبرى (٣/٥١) وابن الاثير (٢/١٨٣) • وفي أسد الغابة (٤/٢٩٩) جاء قول سلمى « وامثناه ! ولامثنى للمسلمين اليوم !! » وفي المعارف (١٠٠) أن سلمى قالت : « القوم أقران ولامثنى لهم » • انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/٣١٦) •

ولعل الكثير من شعره قد ضاع ، فلم تصل الينا الا بعض أشعاره • قال يذكر معركة (النمارق)[1]:

غلبنا علـى (خفان) بيدا مشيحة　الى النخلات السمر فوق(النمارق)[2]
وانا لنرجو ان تجـول خيـولنـا　بشاطئ الفـرات بالسـيوف البـوارق

وقال يذكر يوم (الخنافس)[3]:

صبحنا (بالخنافس) جمـع بكـر　وحيـا مـن قضاعـة غير ميــل
بفتيـان الـوغـى مـن كـل حي　تبـارى فى الحـوادث كل جيـل
نسـفنا سـوقهـم والخيـل رود　من التطواف والشـر البخيـل[4]

ولعلك تلمس معى ، فى هـذا الشعر ، آمال القائد المنتصر فى انتصـار جديد ، وتلمس فيه صولة الفرسان الشجعان الذين لامثيل لهم فى كل جيل ، حتى أصبحت خيولهم - وقد قطعت مسـافات شاسعة وهى تحمل الفاتحين - لاتقوى على السير الا بصعوبة •

انها صورة شعرية رائعة ، لايقوى على الاتيان بمثلها الا شاعر أصيل !

الشـمائل :

كان المثنى شجاعاً مقداماً ، شهما غيوراً ؛ وكان مأمـون النقيبـة حسن الرأى[5] ، وكان راسخ العقيدة ، قوى الايمان شديد الثقة بنفسه ؛ بعيد النظر ؛ يؤثر المصلحة العامة على مصلحته الشخصية ، يعترف بخطئه عند الحاجة بكل صراحة ولا يصر عليه • وكان يشارك أصحابه فى السراء والضراء ؛ أنصفهم

(١) معجم البلدان (٨/٣١٦) •
(٢) (خفان) اسم موضع راجع التسلسل (٣٨) ، و (النمارق) اسم موضع قرب الكوفة من أرض العراق • انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/٣١٦) ؟
(٣) راجع معجم البلدان (٣/٤٦٨) •
(٤) الخنافس : اسـم مكان راجـع التسلسل (٦١) • غير ميـل : أى غير مائلين عن السروج • رود بوزن عود أى على مهل وتصغير رويد • أى أن الخيل من التعب الشديد تسير على مهل •
(٥) الاصابة (٤/٤١) وأسد الغابة (٤/٩٩٢) •

من نفسه في القول والفعل ،وخلط الناس في المحبوب والمكروه ، فلم يقدر أحد أن يعيب له قولا ولا فعلا)[1] .

لقد كان المثنى مثالا للانسان الكامل في صفاته الانسانية ومزاياه .

القـــائد :

يتضح لنا من دراسة أعمال المثنى العسكرية ! أنه كان يمتلك موهبة اعطاء القرارات الصحيحة السريعة ؛ وكان ذا ارادة قوية ثابتة ، يتحمل المسؤولية الكاملة في احطر الظروف والاحوال كما فعل في معركة الجسر ؛ له نفسية لا تتبدل في حالتي النصر والهزيمة ؛ يثق بقواته وتثق قواته به ثقة لا حدود لها ويحبهم ويحبونه حباً لا مزيد عليه ، ذا شخصية قوية نافذة ، فهو بحق كما يقول عنه عمر بن الخطاب : « مؤمر نفسه »[3] ، له قابلية بدنية فائقة تعينه على تحمل أعباء القتال ؛ وله ماض ناصع مجيد .

وكان شجاعاً الى أقصى حدود الشجاعة ؛ مقداماً الى أقصى حدود الاقدام ؛ فكان دائما أول من يهجم وآخر من ينسحب ؛ وكان خبيراً بمناطق العراق ، جريئاً على الفرس ؛ سريع الحركة ؛ واسع الحيلة ؛ وكان أول من اجترأ على الفرس بعد الاسلام وجرأ المسلمين عليهم : فقد (أبلى في حروب العراق بلاء لم يبله أحد)[1] .

وعند تطبيق مبادىء الحرب على أعمال المثنى العسكرية ؛ يتضح لنا أنه طبق أهم تلك المبادىء ، فقد كان يطبق مبدأ (اختيار المقصد وادامته) ؛ متشبعاً بروح (التعرض) ؛ يعمل بهمة وبدون كلل لاكمال (تحشيد قواته) قبل كل معركة يخوضها ؛ كما يطبق مبدأ (التعاون) بين مختلف تشكيلات وصنوف جيشه ويعمل على (ادامة معنويات) قطعاته قبل المعركة وفي أثنائها وبعدها .

ولقد كان كثير الحركة أثناء المعركة ، يتجول بنشاط لا يفتر بين أقسام جيشه ويقوم بنفسه نقاط الضعف التي يجدها ويسد الثغرات التي يعثر عليها ، كما يبادر

---

(١) ابن الاثير (٢/١٧٠) .

(٢) أسد الغابة (٤/٢٩٩) .

٣. الاصابة (٤/٤١) وأسد الغابة (٤/٢٩٩) .

الى توجيه القوات المناسبة الى النقاط الضعيفة والثغرات التى يجدها بين صفوف عدوه ... انه مثال القائد الذى يؤمن (الاستطلاع الشخصى) أثناء القتال .

وكان شديد الضبط مطيعا ؛ ينفذ أوامر رؤسائه برحابة صدر ؛ فقد عمل بكل اخلاص بامرة خالد بن الوليد في عهد أبى بكر الصديق ؛ وبامرة أبى عبيد الثقفى في عهد الفاروق عمر ؛ كما لم يتذمر من تعيين سعد بن أبى وقاص قائدا عاما فى العراق ؛ ولو عاش لعمل بامرة سعد أيضا غير مكترث أن يكون رئيسا أو مرؤوسا مادام هو لايعمل لنفسه بل لاعلاء كلمة الله !

ما أشبه مزايا قيادة المثنى بمزايا قيادة خالد بن الوليد ، تلك المزايا التى جعلت هذين القائدين العظيمين لا يخسران معركة فى كل حياتهما العسكرية بل كان النصر حليفهما فى مختلف المعارك والحروب .

المثنى فى التاريخ :

يذكر التاريخ للمثنى جهاده مع العلاء بن الحضرمي للمرتدين ، مما أدى الى اعادة سيطرة المسلمين على منطقة البحرين .

ويذكر له أنه كان أول مسلم هاجم الامبراطورية الفارسية فى عقر دارها[1]، فحمل عن المسلمين عبئاً لم يحمله غيره ، فهو الذى جرأ العرب على محاربة الفرس ، وهو الذى رفع معنويات العرب وحطم معنويات الفرس ، فكانت أعماله العسكرية فى العراق فاتحة لفتحه فيما بعد ، وكانت معركة (البويب) تمهيداً لمعركة (القادسية) وايذاناً بانهيار الامبراطورية الفارسية وانتشار الاسلام فى ربوع بلادها .

وأخيراً جاد بروحه فى سبيل عقيدته ، فمات شهيدا متأثرا بجروحه التى أصيب بها فى معركة (الجسر) التى لولا قيادة المثنى فى أعقابها لكان مصير المقاتلين فيها من المسلمين الفناء .

ان المثنى كان نمطا فريدا بين القادة فى كل أدوار التاريخ ، فهو بحق مفخرة من أكبر مفاخر العرب والمسلمين فى كل مكان وبكل زمان .

رضى الله عن بطل الأبطال ورجل الرجال ، القائد الانسان المثنى ابن حارثة الشيبانى .

---

(١) جمهرة أنساب العرب (٣٠٥) .



تصدرها رئاسة أركان الجيش

مديرية التدريب العسكري

العدد ٢ نيسان ١٩٦٤ م – ذوالحجة ١٣٨٣ هـ السنة ٤١

المحتويات الصفحة

زيارة الرئيس عبدالسلام محمد عارف للباكستان		
زيارة الرئيس عبدالسلام محمد عارف للهند		
كلمة آمر كلية الاحتياط	بمناسبة تخرج الدورة ١٨	
الاسلام وجود ومنطلق	الدكتور ياسين خليل	١٥٥
المثنى بن حارثة الشيباني	اللواء الركن محمود شيت خطاب	١٦١
مشكلات الشباب النفسية في الوطن العربي	الدكتور ابراهيم عبدالله محيي	١٧٨
أفريقيا كما عرفها العرب قبل الف سنة	ترجمة السيد كاظم الجوادي ...	١٨٧
تحويل مجرى نهر الاردن	الرائد الركن محمدعلي سعيد ...	١٩٤
السوق الاوربية المشتركة	المقدم الركن عبدالسلام الشيخلي	٢٠٨
قصتي حول عبور نهر رابيدو	ترجمة المقدم جاسم محمد سليم	٢١٨
الاستخبارات في الحرب	الرائد الركن صلاح الدين عبدالقادر	٢٤٠
التقدم في تصميم الدبابة	ترجمة العقيد عبدالكريم جهاد	٢٦٣
مؤتمر القمة العربي		٢٨٣

